علامات الحج المبرور .

للحج المبرور علامات لا تخفى : قيل للحسن : الحج المبرور جزاؤه الجنة ؟ قال : آية ذلك : أن يرجع زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة و قيل له : جزاء الحج المغفرة ؟ قال : آية ذلك : أن يدع سيء ما كان عليه من العمل الحج المبرور مثل : حج إبراهيم بن أدهم مع رفيقه الرجل الصالح الذي صحبه من بلخ فرجع من حجه زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة و خرج عن ملكه و ماله و أهله و عشيرته و بلاده و اختار بلاد الغربة وقنع بالأكل من عمل يده إما من الحصاد أو من نظارة البساتين حج مرة مع جماعة من أصحابه فشرط عليهم في ابتداء السفر أن لا يتكلم أحدهم إلا ﷲ تعالى و لا ينظر إلا له فلما وصلوا وطافوا بالبيت رأوا جماعة من أهل خراسان في الطواف معهم غلام جميل قد فتن الناس بالنظر إليه فجعل إبراهيم يسارقه النظر و يبكي فقال له بعض أصحابه : يا أبا اسحاق ألم تقل لنا : لا ننظر إلا ﷲ تعالى ؟ فقال : ويحك هذا ولدي و هؤلاء خدمي و حشمي : .

( هجرت الخلق طرا في هواك ... و أيتمت العيال لكي أراكا ) .

( فلو قطعتني في الحب إربا ... لما حن الفؤاد إلى سواكا ) .

قال بعض السلف : استلام الحجر الأسود هو أن لا يعود إلى معصية يشير ما قاله ابن عباس Bهما أن : الحجر الأسود يمين ﷲ في الأرض فمن لم يدرك بيعة رسول ﷲ صلى ﷲ عليه و سلم فمسح الركن فقد بايع ﷲ ورسوله و ورد في حديث : [ أن ﷲ لما استخرج من ظهر آدم ذريته و أخذ عليهم الميثاق كتب ذلك العهد في رق ثم استودعه هذا الحجر فمن ثم يقول : من يستلمه وفاء بعهدك فمستلم الحجر يبايع ﷲ على اجتناب معاصيه و القيام بحقوقه ] { فمن نكث فإنما ينكث على نفسه و من أوفى بما عاهد عليه ﷲ فسيؤتيه أجرا عظيما } يا معاهدينا على التوبة بيننا و بينكم عهود أكيدة أولها : يوم { ألست بربكم } فقلتم بلى و المقصود الأعظم من هذا العهد : أن لا تعبدوا إلا إياه و تمام العمل بمقتضاه : أن اتقوا ﷲ حق تقواه و ثانيهما : يوم أرسل إليكم رسوله و أنزل عليكم في كتابه : { و أوفوا بعهدي أوف بعهدكم } قال سهل التستري : من قال لا إله إلا ﷲ فقد بايع ﷲ فحرام عليه إذ بايعه أن يعصيه في شيء من أمره في السر و العلانية أو يوالي عدوه أو يعادي وليه : .

( يا بني الإسلام من علمكم ... بعد إذ عاهدتم نقض العهود ) .

( كل شيء في الهوى مستحسن ... ما خلا الغدر و إخلاف الوعود ) .

و ثالثها : لمن حج إذا استلم الحجر فإنه يجدد البيعة و يلتزم الوفاء بالعهد المتقدم : { من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا ا عليه } الحر الكريم لا ينقض العهد القديم : .

( أحسبتم أن الليالي غيرت ... عقد الهوى لا كان من يتغير ) .

( يفنى الزمان و ليس ننسى عهدكم ... و على محبتكم أموت و أحشر ) .

إذا دعتك نفسك إلى نقض عهد مولاك فقل لها : معاذ ا : { إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون } اجتاز بعضهم على منظور مشتهى فهمت عينه أن تمتد فصاح : .

( حلفت بدين الحب لا خنت عهدكم ... و ذلك عهد لو عرفت وثيق ) .

تاب بعض من تقدم ثم نقض فهتف به هاتف بالليل : .

( سأترك ما بيني و بينك واقفا ... فإن عدت عدنا و الوداد مقيم ) .

( تواصل قوما لا وفاء لعهدهم ... و تترك مثلي و الحفاظ قديم ) .

من تكرر منه نقض العهد أيوثق بمعاهدته دخل بعض السلف على مريض مكروب فقال له : عاهد ا على التوبة لعله أن يقيلك صرعتك فقال : كنت كلما مرضت عاهدت ا على التوبة فيقيلني فلما كان هذه المرة ذهبت أعاهد كما كنت أعاهد فهتف بي هاتف من ناحية البيت : قد أقلناك مرارا فوجدناك كذابا ثم مات عن قريب لا كان من نقض العهد من كان ما ينقض العهد إلا خوان : .

( ترى الحي الالى باتوا ... على العهد كما كانوا ) .

( أم الدهر بهم خاننا ... و دهر المرء خوان ) .

( إذا عز بغير ا ... يوما معشر هانوا ) .

من رجع من الحج فليحافظ على ما عاهد ا عليه عند استلام الحجر حج بعض من تقدم فبات بمكة مع قوم فدعته نفسه إلى معصية فسمع هاتفا يقول : ويلك ألم تحج فعصمه ا من ذلك قبيح بمن كمل القيام بمباني الإسلام الخمس أن يشرع في نقض ما يبني بالمعاصي في حديث مرسل خرجه ابن أبي الدنيا : [ أن النبي صلى ا عليه و سلم قال لرجل : يا فلان إنك تبني و تهدم ـ يعني تعمل الحسنات و السيئات ـ فقال يا رسول ا : سوف أبني و لا أهدم : .

( خذ في جد فقد تولى العمر ... كم ذا التفريط فقد تدانى الأمر ) .

( أقبل فعسى يقبل منك العذر ... كم تبني كم تنقض كم ذا العذر ) ] .

علامة قبول الطاعة أن توصل بطاعة بعدها و علامة ردها أن توصل بمعصية ما أحسن الحسنة بعد الحسنة و أقبح السيئة بعد الحسنة ذنب بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها النكسة أصعب من المرض الأول ما أوحش ذل المعصية بعد عز الطاعة ارحموا عزيز قوم بالمعاصي ذل و غني قوم بالذنوب افتقر سلوا ا الثبات إلى الممات و تعوذوا من الحور بعد الكور كان الإمام أحمد يدعو و يقول : اللهم أعزني بطاعتك و لا تذلني بمعصيتك و كان عامة دعاء إبراهيم بن أدهم

: اللهم انقلني من ذل المعصية إلى عز الطاعة في بعض الآثار الإلهية يقول ا تبارك و تعالى : أنا العزيز فمن أراد العز فليطع العزيز .

( ألا إنما التقوى هي العز و الكرم ... و حبك للدنيا هو الذل و السقم ) .

( و ليس على عبد تقي نقيصة ... إذا حقق التقوى و إن حاك أو حجم ) .

الحاج إذا كان حجه مبرورا غفر له و لمن استغفر له و شفع فيمن شفع فيه و قد روي : [ إن ا تعالى يقول لهم يوم عرفة : أفيضوا مغفورا لكم و لمن شفعتم فيه ] و روى الإمام أحمد بإسناده [ عن أبي موسى الأشعري قال : إن الحاج ليشفع في أربعمائة بيت من قومه و يبارك في أربعين من أمهات البعير الذي يحمله و يخرج من خطاياه كيوم ولدته أمه فإذا رجع من الحج المبرور رجع وذنبه مغفور و دعاؤه مستجاب فذلك يستحب تلقيه و السلام عليه و طلب الإستغفار منه ] .

و تلقي الحاج مسنون و في صحيح مسلم [ عن عبد ا بن جعفر قال : كان النبي صلى ا عليه و سلم إذا قدم من سفر تلقى بصبيان أهل المدينة و إنه قدم من سفر ـ فسق بي إليه فحملني بين يديه ثم جيء بأحد ابني فاطمة فأردفه خلفه فأدخلنا المدينة ثلاثة على دابة ] و قد ورد النهي عن ركوب ثلاثة على دابة في حديث مرسل فإن صح : حمل على ركوب ثلاثة رجال فإن الدابة يشق عليها حملها بخلاف رجل و صغيرين و في المسند و صحيح الحاكم [ عن عائشة قالت : أقبلنا من مكة في حج أو عمرة فتلقانا غلمان من الأنصار كانوا يتلقون أهاليهم إذا قدموا ] .

و كذلك السلام على الحاج إذا قدم و مصافحته و طلب الدعاء منه و في المسند بإسناد فيه ضعف [ عن ابن عمر عن النبي صلى ا عليه و سلم قال : إذا لقيت الحاج فسلم عليه و صافحه و مره أن يستغفر لك قبل أن يدخل بيته فإنه مغفور له ] و فيه أيضا عن حبيب بن أبي ثابت قال : خرجت مع أبي نتلقى الحاج و نسلم عليهم قبل أن يتدنسوا و روى معاذ بن الحكم حدثنا موسى بن أعين عن الحسن قال : إذا خرج الحاج فشيعوهم و زودوهم الدعاء و إذا قفلوا فالقوهم و صافحوهم قبل أن يخالطوا الذنوب فإن البركة في أيديهم و روى أبو الشيخ الأصبهاني و غيره من رواية لبنت عن مجاهد قال : قال عمر : يغفر للحاج و لمن استغفر له الحاج بقية ذي الحجة و محرم و صفر و عشر من ربيع الأول و في مسند البزار و صحيح الحاكم [ من حديث أبي هريرة مرفوعا : اللهم اغفر للحاج و لمن استغفر له الحاج ] وروى أبو معاوية الضرير عن حجاج عن الحكم قال : قال ابن عباس : لو يعلم المقيمون ما للحاج عليهم من الحق لأتوهم حين يقدمون حتى يقيلوا رواحلهم لأنهم وفد ا في جميع الناس ما للمنقطع حيلة سوى التعلق بأذيال الواصلين : .

( هل الدهر يوما بوصل يجود ... و أيامنا باللوى هل تعود ) .

( زمان تقضى و عيش مضى ... بنفس و ا تلك العهود ) .

( إلا قل لزوار دار الحبيب ... هنيئا لكم في الجنان الخلود ) .

( أفيضوا علينا من الماء فيضا ... فنحن عطاش و أنتم ورود ) .

أحب ما إلى المحب سؤال من قدم من ديار الحبيب : .

( عارضا بي ركب الحجاز أسائله ... متى عهده بأيام سلع ) .

( و استملا حديث من سكن الخيف ... و لا تكتباه إلا بدمعي ) .

( فاتني أن أرى الديار بطرفي ... فلعلي أرى الديار بسمعي ) .

( من معيد أيام جمع على ما ... كان منها و أين أيام جمعي ) .

لقاء الأحباب لقاح الألباب و أخبار تلك الديار أحلى عند المحبين من الأسمار : .

( إذا قدم الركب بمعمعتهم ... أحيى الوجوه قدوما و وردا ) .

( و اسألهم عن عقيق الحمى ... و عن أرض نجد و من حل نجدا ) .

( حدثوني عن العقيق حديثا ... أنتم بالعقيق أقرب عهدا ) .

( ألا هل سمعتم ضجيج الحجيج ... على ساحة الخيف و العيس تحدا ) .

( فذكر المشاعر و المروتين ... و ذكر الصفا يطرد الهم طردا ) .

أرواح القبول تفوح من المقبولين و أنوار الوصول تلوح على الواصلين : .

( تفوح أرواح نجد من ثيابهم ... عند القدوم لقرب العهد بالدار ) .

( أهفو إلى الركب تعلو لي ركائبهم ... من الحمى في إسحاق و اطمار ) .

( يا راكبان قفا لي و اقضيا و طرى ... و حدثاني عن نجد بأخبار ) .

ما يؤهل للإكثار من التردد إلى تلك الآثار إلا محب مختار حج علي بن الموفق ستين حجة قال : فلما كان بعد ذلك جلست في الحجر أفكر في حالي و كثرة ترادي إلى ذلك المكان و لا أدري هل قبل مني حجي أم رد ثم نمت فرأيت في منامي قائلا يقول لي : هل تدعو إلى بيتك إلا من تحب قال : فاستيقظت و قد سري عني ما كل من حج قبل و لا كل من صلى وصل قيل لابن عمر ما أكثر الحاج ؟ قال : ما أقلهم و قال : الركب كبير و الحاج قليل حج بعض المتقدمين فتوفي في الطريق في رجوعه فدفنه أصحابه و نسوا الفأس في قبره فنبشوه ليأخذوا الفأس فإذا عنقه و يداه قد جمعت في حلقة الفأس فردوا عليه التراب ثم رجعوا إلى أهله فسألوهم عن حاله ؟ فقالوا صحب رجلا فأخذ ماله فكان يحج منه : .

( إذا حججت بمال أصله سحت ... فما حججت و لكن حجت العير ) .

( لا يقبل ا إلا كل صالحة ... ما كل من حج بيت ا مبرور ) .

من حجه مبرور قليل و لكن قد يوهب المسيء للمحسن و قد روي : [ أن ا تعالى يقول عشية عرفة : قد وهبت مسيئكم لمحسنكم ] حج بعض المتقدمين فنام ليلة فرأى ملكين نزلا من السماء

فقال أحدهما للأخر فكم حج العام ؟ قال : ستمائة ألف فقال له : كم قبل منهم ؟ قال : ستة قال : فاستيقظ الرجل و هو قلق مما رأى فرأى في الليلة الثانية كأنهما نزلا و أعادا القول و قال أحدهما : إن الله وهب لكل واحد من الستة مائة ألف كان بعض السلف يقول في دعائه : اللهم إن لم تقبلني فهبني لمن شئت من خلقك من رد عليه عمله و لم يقبل منه فقد يعوض ما يعوض المصاب فيرحم بذلك قال بعض السلف في دعائه بعرفة : اللهم إن كنت لم تقبل حجي و تعبي و نصبي فلا تحرمني أجر المصيبة على تركك القبول مني و قال آخر منهم : اللهم ارحمني فإن رحمتك قريب من المحسنين فإن لم أكن محسنا فقد قلت : { و كان بالمؤمنين رحيما } فإن لم أكن كذلك فأنا شيء و قد قلت : { و رحمتي وسعت كل شيء } فإن لم أكن شيئا فأنا مصاب برد عملي برد عملي و تعبي و نصبي فلا تحرمني ما وعدت المصاب من الرحمة قال هلال بن يسار : بلغني أن المسلم إذا دعا الله فلم يستجب له كتب له حسنة خرجه ابن أبي شيبة يعني جزاء المصيبة رده .

( من كان في سخطه محسنا ... فكيف يكون إذا ما رضي )